

الحلقة الخامسة والخمسون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال تحكي عن النتيجة الوخيمة للجوء الإنسان إلى الطرق الملتوية كالكذب والغش والخداع لتحقيق غايته. وتبين لنا أن جمع المال بالطرق الملتوية يكون كالبخار الذي يندثر بسرعة. وأن الحكم بالعدل يكون فرحاً للصديق ورعباً لفاعلي الإثم.

هل تنتبه لكلامك يا صديقي؟ وهل تراقب ما تتلفظ به شفتاك؟ وهل تعلم أن بعض الكلمات قد تكون لها عواقب غير مُسرّة بالنسبة لك؟ فإذا جرحت بكلامك مثلاً زميلاً لك، فإن هذا سيؤثر على علاقاتكما ببعض. وإذا أهنت إنساناً فربما يصبح عدواً لك. كتب سليمان الحكيم في هذا المجال قائلاً: **"من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه"**. (أمثال ٢١:٢٣) أجل إن من ينتبه لكلامه ويراقب لسانه، فإنه لا بد أن يحفظ نفسه من الضيقات. إن كلامنا ليس مجرد كلمات نردها بل تحمل معنى تؤثر على سامعيها. وغالباً ما لا ننتبه لكلامنا، إذ نظن أنه مجرد كلام لا يقدّم ولا يؤخر. لكن الحقيقة أن أي كلام لا بد أن يترك أثراً على السامعين، سلباً كان أم إيجاباً. فأنت بكلامك تعبّر عن نفسك، وفي نفس الوقت يكون لك مقاصد أو طلبات تود تحقيقها.

وعندما يحرص الإنسان أن يكون كلامه بناءً ومفيداً فإنه بالتأكيد سيجنب نفسه الكثير من المآزق. وحذرنا أيضاً سليمان الحكيم من شهادة الزور، فكتب قائلاً: **"شاهد الزور يهلك والرجل السامع للحق يتكلم"**. (أمثال ٢١:٢٨) لهذا علينا أن نكون أمناء في شهادتنا وصادقين. فهل تراك مستمعي تراقب كلامك وما تتلفظ به شفتاك؟ صحيح أن الكلام أمرٌ بغاية السهولة، ومن الصعب في أحيان كثيرة ضبط اللسان والسيطرة عليه، لكن عندما تلجأ إلى الله القدير فهو الوحيد القادر أن يساعدك في هذا المجال.

هل تعلم صديقي أنه من الصعب أن يعيش الناس مع إنسان نكد ومخاصم؟ كتب سليمان الحكيم هذين المثلين، فقال: **"السكنى في زاوية السطح خيرٌ من امرأة مخاصمة وبيت مشترك"**. وأيضاً: **"السكنى في أرض بريّة خيرٌ من امرأة مخاصمة حردة"**. (أمثال ١٩، ٢١:٩) صحيح أن سليمان الحكيم في هذين المثلين يتكلم عن المرأة، لكن هذا الأمر ينطبق أيضاً على أي إنسان سواء

كان رجلاً أم امرأة. فلا يستطيع أحد أن يعيش في بيت واحد مع أي شخص مشاكس. ولهذا يصبح السكن في زاوية السطح، أو في البرية أفضل من العيش معه أو معها.

تتقسم أطباع الناس بين أناس هادئين وأناس ذي طباع حادة، وبينهما يقع على درجات متفاوتة معظم الناس. وعادة ما يعرف الشخص ذي الطباع الحادة نفسه. ولهذا يصبح من الأفضل له أن يبدأ بمعالجة نفسه، لكي يصبح أقل حدة، وأكثر سلاسة مع الناس الآخرين.

هل تعلم صديقي أن الله بواسطة المخلص المسيح هو الذي يستطيع أن يبدل طباع الناس من الداخل؟ فكم من إنسان شرس ذي طباع حادة أتى إلى المخلص المسيح فتبدلت حياته رأساً على عقب! وأصبح إنساناً هادئاً ومهذباً يعامل الناس الآخرين بكل لطف وأدب. فإذا كنت أنت صديقي وأنت صديقتي من أولئك الناس ذي الطباع الحادة، فإنكما تستطيعان أن تأتيا إلى الله وتطلبان منه أن يبدل حياتكما، وأن يجعلكما تتحليان بصفة الهدوء والسلاسة مع الآخرين. وعندها لا يهرب الناس منكما بل على العكس يرغبان بالعيشة معكما.

صديقي المستمع، مهما حاول الإنسان فمن المستحيل عليه أن يقف ضد خطط الله، أو يقاوم مشيئته تعالى. لهذا كتب سليمان الحكيم قائلاً: "ليس من حكمة ولا من فطنة بقادرة على مقاومة الله." (أمثال ٢١: ٣٠) هناك كثيرون من حاولوا في الماضي أن يثبتوا حكمتهم وقدرتهم بمعزل عن الله، لكن أنت الأيام لتكشف عن عجزهم وفشلهم. بينما بقيت إرادة الله ومشيئته لخلص البشر ثابتة ومستمرة.

ولقد تحدث الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، عن هذا الموضوع فكتب قائلاً: "فإن كلمة الصليب عن الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله. لأنه مكتوب سأبدي حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم. أين الكاتب. أين مباحث هذا الدهر. ألم يجهل الله حكمة هذا العالم. لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسنته الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة. لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولل يونانيين جهالة. وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس. وضعف الله أقوى من الناس." (١ كورنثوس ١: ١٨-٢٥)

فماذا قصد الرسول بولس بهذا الكلام؟ لقد اقتضت حكمة الله أن تخلّص الناس بواسطة بشارة الصليب. أي أن المسيح مات على الصليب ليكفّر عن خطايا البشر. أما الناس فقد ظنوا أن بشارة الصليب هي بشارة الضعف والجهل. بينما هي العكس تماماً إذ أنها بشارة حكمة الله وقوته. لقد سأل اليهود من الله أن يعطيهم آية أي عجيبة، بينما طلب اليونانيون الحكمة والفلسفة. ولهذا أصبحت بشارة الصليب عثرة لليهود وجاهالة لليونانيين. لكنها في الحقيقة كشفت أن جهالة الله بالنسبة للبشر هي أحكم من حكمة الناس، وأن ضعفه أقوى من قوة الناس. إن حكمة الله وقوته يا صديقي التي تجلّت في خطة الخلاص للجنس البشري عن طريق موت المسيح الكفاري على الصليب، هي الحكمة التي سمت عن أية حكمة بشرية، وفاقت أية قوة أرضية. وهي الحكمة الحقيقية والقوة الفعّالة التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان.

فهل تود مستمعي أن تحصل على حكمة الله؟ وأن تتال قوته؟ ما عليك إلا أن تأتي إلى الله تائباً عن ذنوبك، ومؤمناً بالمخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب. وعندها تتال الغفران عن خطاياك، وتحصل على الحياة الروحية الجديدة، وتصبح من أولاد الله، وتحظى بالخلود. وهكذا ينطبق عليك الوصف الذي ذكره الرسول بولس لكل الذين يؤمنون بالمسيح قائلاً: "بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود. لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه." (١كورنثوس ١: ٢٧-٢٩)